شعرية الحكمة
عند دعبل بن علي الخزاعي

م. عامر صلال راهي الحسناوي
كلية تربية المثنى / جامعة القادسية

الخلاصة :

حاول البحث الوقوف على بعض الأبعاد الفنية والجمالية لشعرية الحكمة عند دعبل بن علي الخزاعي بالارتكاز على جملة من المعطيات المتأتية من جوهر تلك الشعرية، انطلاقاً من بنية الحكمة المجردة بوصفها لغة الشعب بجميع طبقاته ومختلف أطيافه الفكرية، وصولاً إلى فاعلية الأثر أو الوظيفة التي تلعبها الحكمة ليس في حياة الشاعر فحسب، بل في حياة المجتمع؛ إذ أنها –أي الحكمة- عاشت تجربة الحياة مع قائلها بعمق وأصالة عبر تاريخهما الثرّ النفيس منذ أن كانت نتفاً نثرية حتى صيرورتها فناً شعرياً قائماً بذاته له خصوصيته الفنية الجمالية، فظلّ فن الحكمة أهزوجة تستحثّ الركب، وأنشودة تستثير الهمم، بل سجّل هذا الفنّ خفقات القلوب ووجيب النفوس وتطلعات الأمل، من هنا لم تواكب الحكمة الحياة فحسب، بل عاشتها بصالحها وطالحها، بجيدها ورديئها، فانفعلت بها وتأثرت لها ومنها.

وهذا البحث جاء بمثابة الردّ على بعض القائلين بضآلة القيمة الفنية لشعر الحكمة بسبب جنوحه إلى ناحية عقلية محضة قليلة الحظ من الشعور العاطفي والوجداني، ولعلّ ارتكازها على شخصية دعبل الخزاعي كقاعدة قام عليها البحث هو دليل آخر على مدى افعام الحكمة عموماً وعند شاعرنا خصوصاً بأريج العاطفة والوجدان –وإذا كان النص الحكمي يغني عن الواقع والمؤلف إلاّ أنّ التأكيد على معرفة دعبل الخزاعي(مؤلف النص)والواقع الذي انتج هذه النتف الحكمية تمنح القارئ فهماً أعمق وتحدُّ من الشطحات المبالغ فيها، التي قد يقع أو يقع فيها القارئ فعلاً(١)-لاسيما ما يتعلق منها برسم صور الشباب والمشيب، أو الزمان وصروفه، أو المجتمع في غدره وتآلفه، وكل هذه الصور في حقيقتها رسومات حيّة نقلها لنا دعبل الخزاعي بأمانة وصدق عن واقعه ومجتمعه آنذاك، وهي بطبيعة الحال تحتكم إلى المكوّن العاطفي الوجداني فضلاً عن المكوّن العقلي فهما يسيران معاً بخطٍّ متواز في ثنايا بحثنا الذي حاولنا قدر استطاعتنا تقريب الهوة بينهما من خلال محوري: البنية بعناصرها: (الشكل-المعنى-الصورة)،والوظيفة بجانبيها:(التربوي التقويمي-المعرفي النفسي).

مدخل :

الحكمة رزق روحاني رغيد لكلّ نفس تواقة لأجل سيادة إنسانية الإنسان على البسيطة، فمن منطق الحكمة ومنطلقها تستسقي العقول نور دربها الوضاح ،وقائل الحكمة ليس بالضرورة أن يكون حكيماً بين قومه ،فقد ينطق بالحكمة من كان أمياً ؛ذلك لأنّ موضوع الحكمة يتعلق بالإحساس الأعمق الذي يعتصر ذهن المرء فتخرج الكلمات منه حتى تذهب مثلاً أو حكمة.

وتضمين الحكمة في الشعر هو دليل على رقي عقلية الشاعر ومدى تفكيره في قضايا الإنسان وتأمله في مسألة الحياة ،فالحكمة ((ثمرة تجارب طويلة وفطنة ونظر ثاقب وبصيرة نافذة بالناس وأخلاقهم ،والماضين ومصائرهم ،وتأمل في سعي الإنسان وغايته ونهايته ،ثم إحساس دقيق بالحياة))(٢).

أما الشعرية بوصفها مصطلحاً فتعني: ((السمة الأدبية التي يكون بها النص الأدبي مفارقاً للكلام العادي أو الكلام العلمي))(٣)، وعليه فالشعرية هي((التي تؤوّل أثر الشاعر من خلال موشور اللغة وتتمسك بالوظيفة المهيمنة في الشعر تمثل،من حيث تعريفها، نقطة انطلاق لتفسير القصائد))(٤) ،وظهور الشعرية على الساحة النقدية الحديثة قد وضع حداً للتوازي القائم بين-حسب رأي تودوروف-((

[...المعنى الذي يعبر عن العمل الأدبي والقانون الشعري أو النفساني أو الاجتماعي الذي تسعى الدراسة العلمية إلى الوصول إلى المعنى عبره]بين التأويل والعلم في حقل الدراسات الأدبية. وهي بخلاف تأويل الأعمال النوعية، لا تسعى إلى تسمية المعنى، بل إلى معرفة القوانين العامة التي تنظّم ولادة كل عمل، ولكنها بخلاف هذه العلوم التي هي علم النفس وعلم الاجتماع...الخ، تبحث عن هذه القوانين داخل الأدب ذاته. فالشعرية إذن مقاربة للأدب "مجردة" و "باطنية" في الآن نفسه))(٥).

من هنا نفهم انّ المراد بالشعرية في أبسط معانيها هي الخصائص المميزة للنوع الأدبي بوظائف مختلفة حسب كل لون أدبي، وهذه الوظائف لا تقتصر على الوظيفة الشعرية(الشاعرية)في معالجتها للشعر نفسه؛ إذ أنَّ((خصوصيات الأجناس الأدبية المختلفة تستلزم مساهمة الوظائف اللفظية الأخرى بجانب الوظيفة الشعرية المهيمنة وذلك في نظام هرمي متنوع. انّ الشعر الملحمي المركز على ضمير الغائب يفتح المجال بشكل قوي أمام مساهمة الوظيفة المرجعية؛ والشعر الغنائي الموجّه نحو ضمير المتكلم شديد الارتباط بالوظيفة الانفعالية؛ وشعر ضمير المخاطب يتسم بالوظيفة الافهامية، ويتميز بوصفه التماسياً ووعظياً وفق ما إذا كان ضمير المتكلم فيها تابعاً لضمير المخاطب أو وفق ما إذا كان ضمير المخاطب تابعاً لضمير المتكلم))(٦).

ولمعرفة القاسم المشترك ما بين الحكمة والشعرية لابدّ من التعريج أولاً على المكوّن الأساس في بنية الشعر ألا وهي بلاغة الكلام وهذا كان صلب موضوعنا في المحور الأول الذي تطرّقنا فيه للحديث عن بنية الحكمة وأهم الخصائص النوعية لتلك البنية في شعر دعبل الخزاعي والمتجسدة بشكلها ومكوّنها المعنوي فضلاً عن الصورة التي ستتلوّن بها ،في حين كان محور البحث الثاني يدور حول الوظيفة التي يؤديها شعر الحكمة بشكل عام وعند دعبل على وجه الخصوص وهي ترتكز على وظيفتين غاية في الأهمية الأولى تربوية تقويمية والأخرى معرفية نفسية ، وكانت الخاتمة إيجازاً لما توصّل إليه البحث من نتائج لا تدّعي لنفسها الكمال فما الكمال إلا لله.

المحور الأول : بنية الحكمة

لمعرفة مزية الكلام الشعري واكتشاف وجه الدقة في صنعته ومكان الحذق فيه وموضع الإبداع والتفرّد فيه علينا النظر أولاً في بلاغة ذلك الكلام الذي يعدّ أقوى عنصر وأقربه إلى حقيقة الشعر من الوزن والقافية (المكوّن الإيقاعي)، وكما نعلم إنّ هناك بعض النقاد والدارسين القدامى والمحدثين كانوا يرون قصوراً في الحدّ الذي وضعه قدامة بن جعفر للشعر حين قال: ((إنّه قول موزون مقفى يدلّ على معنى))(٧)، ومن الذين تصدّوا لهذا الحدّ، ابن خلدون(٨) بعد أن رأى تمسّك العروضيين به دليلاً على شعرية الشعر، فقال: ((وقول العروضيين في حدّه إنه الكلام الموزون المقفى ليس بحدٍّ لهذا الشعر ولا رسم له وصناعتهم إنّما تنظر في الشعر باعتبار ما فيه من الإعراب والبلاغة والوزن والقوالب الخاصة فلا جرم إنّ حدّهم ذلك لا يصلح له عندنا فلا بدّ من تعريف يعطينا حقيقته من هذه الحيثية فنقول الشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف المفصّل بأجزاء متفقة في الوزن والروي مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عمّا قبله وبعده الجاري على أساليب العرب المخصوصة به))(٩)، ففن البلاغة من((اشرف الفضائل وأعلاها درجة ولولا ذلك لما فخر به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)في عدّة مواقف ، فقال تارة: ((أنا أفصح من نطق بالضاد)) (١٠)، وهنا يتبادر إلى الذهن صورة الحكمة ؛إذ أنها خير من يجسّد جوهر البلاغة، فالحكمة ترتبط بالبلاغة أيّما ارتباط لاسيما إنّ العلاقة بينهما قائمة على التضمين واللزوم، ونابعة من قوله تعالى:((حكمة بالغة))(١١) .

ولعلّ هذا الأمر ما جعل النقاد أن يفطنوا في رسم خارطة الحكمة على شاكلة البلاغة من حيث الخصائص المميزة للحكمة بوصفها لوناً أدبياً ذا قيمة فنية جمالية، فهي((مزيج من عقل وشعور، من موضوعية وذاتية ،موضوعية في أساس الفكرة ومنطلقها من الوجود الواقعي المحسوس ،وذاتية في

إخراجها بالصور ،وتلوينها بألوان الخيال والتصوّر))(١٢)، فهذا(العقل-الشعور)و(الموضوعية – الذاتية)خصائص كامنة في جوهر البلاغة خصوصاً إذا ما علمنا إنّ المعطى البلاغي الحديث قد فرّق بين البلاغة كعلمٍ تارةً، وكفنٍّ تارة أخرى(١٣)،فالعلم يمثل العقل والموضوعية، والفن يمثّل الشعور والذاتية، و((مطلوب من الشاعر أن يعرف ،هو قبل غيره، أنه يقدّم عملاً عقلياً بإطار فني ولأجل أن يبتعد عن((نثرية))العمل العقلي، عليه أن يقتحم بالمزيد من التصوير الفني الناجح المعتمد على أساسيات سلامة المزاج وتدقق المشاعر ورهافة العاطفة))(١٤).

من هذا الاندماج والتداخل بين الحكمة والبلاغة نستشف انهما يقومان على علاقة الجزء بالكلّ والعموم بالخصوص، وبالاتكاء على هذه المرجعية في محاولة للتوحيد بين الحكمة والشعرية من خلال((ربط العلم الأكثر صرامة بعالم الإبداع))(١٥)، ومن هنا يمكننا أن نحدّ الحكمة كمصطلح بأنّها((قول منطقي، عام ،تأخذ به الشعوب جميعها، لتعبيره عن مبدأ عقلي لا ينكره بشري، ...والحكمة تنشد في القول الموجز...ولكن دلالتها تنصب على الكلام القليل ذي المعنى الكثير))(١٦)، بل يمكننا أن نعرّف الفن الحكمي-على وفق حدِّ ماثيو أرنولد للشعر-بأنّه((أمتع واكمل صورة من صور التعبير يمكن أن تصل إليها الكلمات الإنسانية...هو اكمل كلام للإنسان، وفيه يقترب إلى اقرب مدى ممكن من القدرة على التعبير عن الحقيقة...هو نقد الحياة تحت الشروط التي وضعتها لهذا النقد قوانين الحقيقة الشعرية والجمال الشعري))(١٧)، وهنا نلمح إيماءً إلى إنّ الدلالة في الحكمة دلالة رمزية متأرجحة بين المجاز والحقيقة وصولاً إلى الواقع الإنساني ،فالحكمة في جوهرها صورة بلاغية إيحائية لا تنطق بمعنى إلا أوحت بآخر هو((معنى المعنى))تلك النظرية البلاغية التي كشف عبد القاهر الجرجاني النقاب عنها لتكون أساساً تفسيرياً لجماليات الأشكال البيانية وهي على حدّ تعبيره:((أن تقول المعنى ومعنى المعنى تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصلّ إليه بغير واسطة وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنىً ثمّ يفضي بك ذاك المعنى إلى معنى آخر))(١٨)، فيتحصّل لدينا أن شعر الحكمة((خاصيّ،وانّ فهمه ،بالتالي، خاصيّ –وقفٌ على أهل الذوق والمعرفة))(١٩)، بمعنى أنّه شعر قائم على ((الجمع بين المتعة والحقيقة باستدعاء الخيال إلى معونة العقل))(٢٠)، وعلى غرار ذلك الوصف تغدو الحكمة شبيهة بلغة الشعر التي هي لغة ثانوية داخل لغة أصلية تقوم بنمذجة للواقع الخارجي ؛فـ((لكي توجد لغة مجازية لابدّ من وجود لغة طبيعية تقابلها))(٢١)، وهنا تكمن قيمتها الشعرية التي يستمد منها النص خاصيته الفنية والجمالية؛ فإذا كان مجيء النحو لتنظيم ظاهرة اللغة في الكلام العادي، فإنّ مجيء البلاغة هو لتفسير ظاهرة الإبداع وتنظيم تلك اللغة وضبط قوانينها العامة(٢٢)، وعليه فليس للنصّ الشعري أي تأثير زائد يُذكر على متلقيه على ما تؤدّيه اللغة عند إجرائها إجراءً عادياً(٢٣).

لو أنعمنا النظر في شعر دعبل بن علي الخزاعي نجد هيمنة قيمته الفنية على غيرها من القيم الأخرى التي يزخر بها ديوانه، وتتجسّد في شعرية الحكمة التي منحت نتاجه الشعري سمة فنية متميزة ،فقد كان دعبل((شاعراً متقدّماً مطبوعاً مجيداً بديع المعاني متين التركيب))(٢٤)، وهذا الأمر هو ما جعل من البحتري أن يقدّمه على مسلم بن الوليد –أستاذ دعبل-؛إذ يقول: ((دعبل بن علي أشعر عندي من مسلم بن الوليد...لأنّ كلام دعبل أدخل في كلام العرب من كلام مسلم،ومذهبه أشبه بمذاهبهم))(٢٥)، وهو ذات الأمر الذي دفع ابن مهرويه للقول نقلاً عن أبيه:((ختم الشعر بدعبل))(٢٦).

وحين استقراء شعر دعبل فما يلفت انتباه القارئ نحوه غلبة الهجاء والرثاء على نتاجه الشعري، إلا أنّه للحكمة في هذين الغرضين القدح المعلى، فهي تنتشر بين تضاعيفهما بصورة باينة للعيان، ولعلّ ارتباط الحكمة لدى شاعرنا بهذين الغرضين حصراً نابع من حقيقتهما في تصوير مثالب المجتمع-أحياءً- ومناقبه -أمواتاً- وما بأفراده من خصال ذميمة وأخرى حميدة، وما بحكّامه وحكمهم من حياد عن جادّة الحقّ والتزام بها(٢٧)، إلاّ أنّه ليس هناك ثمّة شكّ أو نزاع في شاعرية دعبل وخصوبتها في مختلف الأغراض الشعرية الأخرى(٢٨)، وهذا يعني أننا إزاء لون شعري جديد يمكن تسميته بشعر(التجربة

والحقيقة)؛ إذ إنّ الحكمة ما هي إلاّ موقفُ((من الحياة ينطوي على شحنة عاطفية...ما يجعلها شيئاً آخر غير التفكير الفلسفي، والقضايا العقلية والمنطقية))(٢٩).

وغني عن البيان إنّ شعر الحكمة وهو يصوّر أفانين حكمية مختلفة تتعلق بالفرد والمجتمع((إنّما يصوّر جانباً حضارياً لا سبيل إلى تجاهله، بل إنّ الشعر نفسه والحال كذلك يعتبر خاصية حضارية أساسية لا سبيل إلى إنكارها، فقد أدى دوره وهو أكمل ما يكون بلاغة، وأروع ما يكون بياناً، وأرقّ ما يكون عذوبة))(٣٠)، ولا يخفى على كثيرٍ منا انّ أي شعر لا يخلو من مغزى، وهذا المغزى في أغلب الأحايين هو حكمة، لاسيما إنّ الفرد متى ما استوفى تجاربه فقد تيسّر عليه البوح بالحكمة التي هي خلاصة معاناته في الزمان والمكان، وصدىً لما سبق وإرهاصة لما سيأتي(٣١)، وهكذا كلما توافرت للشعر تلك الصورة النموذجية، وكلما أصبح قادراً على أن يكون مرآة للحياة لا للحظة،فإنّه يكتسب صفة الخلود والسيرورة على الرغم من اضمحلال المناسبة أو الموقف الخاص الذي قيل لأجله وكان سبباً في وجوده،((فالآثار الأدبية التي تستمر وتخلد إنّما تستمر وتخلد لأنّها تظل قادرة على تحريك السواكن وعلى إحداث ردّ فعل وعلى التأويل))(٣٢) ،تلك الحقيقة التي عبّر عنها دعبل مفتخراً بشعره ؛ إذ يقول:

نعوني ولمّا ينعني غيرُ شامتٍ * وغيرُ عدوٍّ قد أصيبَتْ مقاتِلُهْ
يقولون: إن ذاق الردى ماتَ شعرُهُ * وهيهات، عمرُ الشعر طالَتْ طوائِلُهْ
سأقضي ببيتٍ يحمدُ الناسُ أمرَهُ * ويكثرُ من أهل الروايةِ حامِلُهْ
يموتُ رديٌّ الشعر من قبل أهلِه * وجيّدهُ يبقى وإنْ ماتَ قائِلُهْ(٣٣)

وهذا الاعتداد بالشاعرية من جانب دعبل يتكرر أيضاً في قوله:

إنّي إذا قُلتُ بيتاً ماتَ قائلُهُ * ومَنْ يُقالُ لهُ، والبيتُ لمْ يَمُتِ(٣٤)

من هذين النصين نستبين أنّ تأكيد الخزاعي على شاعريته والاعتداد بها كأنه تعويض عن(أناه)التي كادت تختفي أو اختفت من بواكير حكمته بلا تمهيد، وإذا كان خطابه الهجائي- لاسيما المكتنف للحكمة منه-قد طال الناس جميعاً والخلفاء منهم على الخصوص،وهذا الأمر يتضح فيما رواه أبو خالد الخزاعي في سؤاله لدعبل قائلاً:((ويحك قد هجوت الخلفاء والوزراء والقواد ووترت الناس جميعاً فأنت دهرك كله شريد طريد هارب خائف فلو كففت عن هذا وصرفت هذا الشعر عن نفسك))(٣٥)، فانّه اليوم خصيص بـ(الآخر)ممثلاً بالحياة والمجتمع، وهذا ما نلمسه في إجابة دعبل لسؤال أبي خالد حيث قال:((عيوب الناس اكثر من محاسنهم، وليس كل من شرفته بشعر يشرف ولا كل من وصفته بالجود والمجد والشجاعة ولم يكن ذلك فيه انتفع بقولك فإذا رآك قد أوجعت عرض غيره وفضحته اتقاك على نفسه،وخاف مثل ما جرى على الآخرين))(٣٦) بمعنى آخر، وكأنّ دعبل الخزاعي((جاء إلى هذا العالم لا ليختلف معه فقط، بل ليكتشف أقزامه ويعري أغبياءه الذين يتطاولون على الشرفات))(٣٧)من خلال تضمينه للحكمة في هجائه.

ومن ثم فلعلّ تعريف(مس شتاين)للشعر يعطي تصوّراً عن مدى خلود الأخير؛ إذ تقول فيه:((هو الشعر هو الشعر هو الشعر. أي إن الشعر في ذاته أو طبيعته لم يتغيّر، ولكن الذي يتغيّر هو فهم الأفراد والجماعات له في البيئات والعصور المختلفة. فإذا قلنا إنّ كلّ إنسان يعرف ما الشعر لم نكن مغالين، لأنّه ليس حتماً أن يفهم الناس الشعر فهماً واحداً. إنّ للشعر –كالأدب عامة- طبيعة مرنة تتشكّل بحسب كلّ إنسان وفهمه))(٣٨).

وعلى أساس هذا الفهم أو المفهوم يغدو الشعر كشفاً وتعليماً تتآلف فيه الفطنة مع البصيرة ويتآزر فيه العقل مع الخيال، وعندئذ يكون الشاعر حكيماً صاحب بصيرة يعلم الناس الحكمة ويستخلص العبرة ويكشف الحقيقة، وهذا ما يجعل من الشعر فناً بموضوعه وأشيائه لا بلغته وأسلوبه؛ إذ ينطوي على حكمة تأملية أو عملية بسببها يسمو الشعر على نفسه، وذلك حينما ينسلخ عن واقعه التاريخي فيرتبط بحقائق كلية نابعة من تجربة إنسانية توسّع من آفاق الفكر في الحياة؛ إذ أنّ الشعر عموماً والحكمة على الخصوص تحقق الإصلاح الخلقي ومقاييسه ليس بالاعتماد على نظريات علم الأخلاق، وانما تحققه

بطريقة اكثر سمواً وروحانية من خلال إيقاظ العقل وتوسيع رحابه لتقبّل آلاف الأفكار الجديدة التي لم يتسنَ أو يسبق ضمّها مع بعض، وفي ذات الوقت يقوم بتطهير العواطف وتقويتها، ومنح مجال فسيح يمكّن الخيال من السباحة في أفيائه(٣٩)، فالعربي كان وما يزال حتى وقت قريب يرجع إلى الشعر والشاعر((ليتعرّف القيم الأخلاقية ويستقصي المناقب التي تستحب من الإنسان في حياته الخاصة أو حياته الاجتماعية. يرجع العربي إلى الشاعر ولا يرجع إلى الفيلسوف أو إلى الزعيم أو الباحث في مذاهب الأخلاق...ففي الشعر العربي تنويه بكل صفة من صفات المروءة والفتوة ،وإزراء بكلّ عيب من العيوب التي تشين صاحبها بين قومه ،وبيان وافٍ للأخلاق التي تحكم الحياة فعلاً أو ينبغي أن تحكمها وتتراءى فيها مرجحة مشرقة بين سائر الأخلاق))(٤٠).

وقد تعرّض الجرجاني لشعر التجربة والحقيقة –شعر الحكمة-في معرض حديثه عن فكرة((خير الشعر أصدقه))، فيقول إنّ المراد بخير الشعر هو:((ما دلّ على حكمة يقبلها العقل، وأدب يجب به الفضل، وموعظة تروّض جماح الهوى، وتبعث على التقوى، وتبيّن موضع القبح والحسن في الأفعال، وتفصل بين المحمود والمذموم من الخصال، وقد ينحى بها نحو الصدق في مدح الرجال))(٤١)، وأشار أيضاً إلى إنّ اعتماد ما يجري من العقل على أصل صحيح أحبُ إليه وآثرُ عنده؛ إذ يكون((ثمره أحلى، وأثره أبقى، وفائدته أظهر، وحاصله أكثر))(٤٢).

وشعرية الحكمة عند دعبل الخزاعي تجسيد حي لإشارة الجرجاني تلك التي نوّه بها إلى وجوه هذا اللون الشعري الذي تكمن قيمته الجمالية والفنية في بعده الفكري والإنساني، وتدخل ضمن هذا اللون مقطوعات شعرية وأبيات مفردة مستقلة تعيش في بحبوحة من حياة هادئة هانئة لا يعكر صفوها شيء ،ولا يغير هويتها تغيير؛ كونها تتحدّث عن تجربة إنسانية وحقيقة بديهية مسلّم بها ولا يختلف فيها اثنان، وهذه الشعرية الحكمية لدى دعبل قائمة على بعض الخصائص النوعية التي نجملها بالآتي:

أ-الشكل:

يمثل الشكل من وجهة نظر بارت(المعنى الثالث)للنوع الأدبي بشكل عام، وللشعر بوجه خاص، الذي عبّر عنه بقوله:((إنّه المعنى المكتوم. الرابض في الشكل، فهو واحد من متعدد، يطلّ على اللامحدود، وينفتح على حقل من المعاني))(٤٣)، والمراد بالشكل هنا الصورة التعبيرية القائمة على الإيجاز والإطناب أو الإختزال والتوسّع في علاقتها بمرجعياتها الخارجية؛ إذ أنّ((المعنى لا تتآلف منطلقاته وتتفجر أبعاده إلاّ من خلال الشكل الذي استقرت فيه الكلمات على هيئة خاصة))(٤٤)، من هنا يمكننا القول في الحكمة بأنها قول موجز تتضمنه حكمٌ مقبولٌ ومسلّمٌ به،ومكثف تجارب إنسانية صحيحة تمليها الطبائع بلا تكلف وتتسم بالامتداد والتفضيل(٤٥)، أي أن الحكمة تجمل وتكثف ما هو مبسوط ومفصل على مستوى التجربة الفعلية، إذ يصبح الانتقال من الحدث الخارجي إلى بنية الحكمة مبنياً على التدرج من الجزئيات إلى الكليات، وهذا المسار خاضع لمنطق تعليمي مبدؤه الكشف عن حقيقة كلية تتحول إلى رمز يصطبغ صبغة التعميم والحياد(٤٦)، فالشاعر على وفق تعريف إمرسون له بانّه الإنسان[القوّال]أكثر منه الإنسان[العارف]أو[الفاعل]فهو يمثّل من وجهة نظر الأخير((الإنسان الكامل بين البشر النسبيين.الشاعر لا يتحدث عن ثروته الخاصة بل حديثه كله عن الثروة المشتركة. والشاعر الحق يعرف بأنه يعلن للآخرين ما لم يقله أحد من قبل، فالتكلف أو التصنع لا يميزان الشاعر إنما الطبيعة هي التي تحدد من هو))(٤٧).

وهذا ما يفسر لنا مجيء شعرية الحكمة لدى دعبل الخزاعي من حيث المبنى تتسم بإيجاز العبارة وخلوها من الصورة البلاغية المعقدة إلاّ ما يكون من أمر الصور القائمة على التراكيب البسيطة التي تنتشر على مساحة صدر البيت أو عجزه أو عليهما معاً.

<u>فعلى صعيد صدر البيت:</u> قوله في مواساة الأخوان:

وإنّ أولى البرايا أن تواسيه عند السرور الذي واساك في الحزن
إنّ الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الخشن(٤٨)

وقوله في الزهد:

الجهلُ بعدَ الأربعينَ قبيحُ فَزَعِ الفؤادَ وإنْ ثناهُ جُمُوحُ(٤٩)

وقوله راجزاً:

ما أضيعَ الغمدَ بغيرِ نصلِهِ والعُرفَ ما لم يَكُ عندَ أهلِهِ(٥٠)

وعلى صعيد العجز: قوله مخاطباً عبد الله بن طاهر:

يا جوادَ اللسانِ من غيرِ فعلٍ **ليتَ في راحتَيكَ جودَ اللسانِ**(٥١)

وقوله في تعجيل العطاء:

وأرى النوالَ يزينُهُ تعجيلُهُ **والمطلُ آفةُ نائلِ الوهَّابِ**(٥٢)

وقوله في صلة الرحم:

دعني أصلْ إن كنتُ قاطعَها **لابُدَّ للرَّحمِ الدنيا من الصِّلةِ**(٥٣)

وعلى صعيد البيت بصدره وعجزه -وهو الغالب-: قوله في الشيب:

إنَّ المشيبَ رداءُ الحِلمِ والأدبِ كما الشبابُ رداءُ اللَّهوِ واللَّعِبِ(٥٤)

وقوله فيمن يولي العطاء في اليسر ويمنعه في العسر:

لئن كنتَ لا تُولي يداً دونَ امرةٍ فلستَ بمُولٍ نائلاً آخرَ الدهرِ
فأيُّ إناءٍ لم يَفِضْ عندَ مَلئِهِ وأيُّ بخيلٍ لم يُنِلْ ساعةَ الوَفرِ(٥٥)

وقوله في الحيطة والحذر:

كيفَ أصفي الودَّ مَنْ لا آمَنُ الشِّركَةَ فيهِ(٥٦)

وقوله في عجائب الدهر وتصرفاته:

ما أعجبَ الدهرَ في تصرّفِهِ والدهرُ لا تنقضي عجائِبُهُ
فكمْ رأينا في الدهرِ من أسدٍ بالَتْ على رأسِهِ ثعالِبُهُ(٥٧)

وقوله في أصناف شرار الناس:

وما الناسُ إلاَّ حاسدٌ ومكذّبٌ ومضطغِنٌ ذُو إحنةٍ وتِرَاتِ(٥٨)

وقوله في العلم وطلبه:

العلمُ ينهضُ بالخسيسِ إلى العُلا والجهلُ يقعُدُ بالفتى المنسوبِ(٥٩)

وقوله في الغرور:

لو يعلمُ المغرورُ ماذا حازَ من خزيٍّ لوالِدِهِ إذنْ لم يعبَثِ(٦٠)

وقوله في عدم الإلتفات لما مضى:

دَعْ عنكَ ذكرَ زمانٍ فاتَ مطلبُهُ واقذفْ برجلِكَ عن متنِ الجهالاتِ(٦١)

ومن لطيف حكمه قوله:

فليسَ بغاثُ الطيرِ مثلَ عتاقِها وليسَ الأسودُ الغُلبُ مثلَ الثعالِبِ
وليسَ العصيُّ الصُّمُّ كالجوفِ خبرةً وليسَ البُحُورُ في النَدَى كالمذانِبِ(٦٢)

وهكذا نلمح التكثيف وبساطة التركيب ووضوح الصورة هي السمة الغالبة على شعرية حكم دعبل الخزاعي ،فضلاً عن وضوح الدلالة على معانٍ تجليها ،واستقلال تلك النتف الحكمية عن سياقها الخاص وظروف نشأتها ،وهذا ما يجعلها تحظى بالقبول والعلوق في الأذهان ،مضافاً إليها سهولة حفظها ليتسنى إدراجها بعد ذلك في أي سياق أو موقف مماثل ، أو موضوع للتضمين والاستشهاد في الفنون النثرية الأخرى كالخطابة أو المحاورة والمراسلة وغيرها من الفنون.

ب- المعنى:

تدور شعرية الحكمة على محور من الحقائق البسيطة والأمور البديهية الشائعة التي ترتكز على معنى عقلي محض، فقد حدد ريتشاردز عنصرين مختلفين من المعنى الأول الموضوع الحقيقي معتبراً في ذاته (المعنى النثري)، والآخر العملية الذهنية التي من خلالها يُفهم موضوع هذه الحكمة أو تلك (المعنى الشعري)(٦٣)؛ إذ أن مضمون النظرات الحكمية في واقعها الشعري هو مضمون الاختبار الشخصي والمعاناة الثقافية لدى الشاعر، ومن هنا فإنّ أغراضها تختلف باختلاف المعاناة والتجارب ،كذلك باختلاف اتجاهاتها السلبية أو الإيجابية، التقدّمية منها أو الرجعية منوط باختلاف الزاوية التي ينظر منها الشاعر إلى الحياة،وباختلاف قاعدة تفكيره لتحليل ما يستجد حوله من أحداث وظواهر، بعبارة أخرى باختلاف موقفه من عجلة الحياة والتاريخ(٦٤).

وبناءً على ذلك فهذه الحقائق والبديهيات هي عصارة تجارب إنسانية بعيدة الغور في صراعها التاريخي الأبدي مع المحيط الذي حولها بكافة أطيافه: مع الكون والطبيعة ، وصراع الفرد مع ذاته ومجتمعه ،ومع كلّ ما يحول ويحدّ من حركته في ذلك المحيط المترامي الأطراف ويضع العراقيل في سبيل إفساد عيشه الرغيد، ويعكّر صفو راحته في الحياة، فحين نستمع لقول دعبل الخزاعي في الشيب والشباب:

أينَ الشبابُ؟ وأيَّةَ سَلَكَا لا، أينَ يُطلبُ؟ ضَلَّ بل هلكَا
لا تعجَبي يا سلمُ من رجلٍ ضحكَ المشيبُ برأسِهِ فبكى
قد كان يضحكُ في شبيبةٍ وأتى المشيبُ فقلَّما ضحكا
يا سلمُ ما الشيبُ منقصةٌ لا سوقةٌ يُبقي ولا ملكا(٦٥)

فالجرجاني يرى إنّ للضحك في البيت الثاني من المقطوعة أعلاه زيادة في معنى الضحك ((وما تلك الزيادة إلاّ أنّه جعل المشيب يضحك ضحك المتعجب من تعاطي الرجل ما لا يليق به، وتكلفه الشيء ليس هو من أهله))(٦٦)؛ إذ نجد انّ فعل الضحك ليس بمعزل عن زمن المشيب فقد يتزامن مع تحقيق هذا الفعل سلب لإمكانيات((وهذا السلب معناه أن التحقق لن يكون كاملاً، ونقصان التحقق يفضي إلى الشقاء، وإنّ السعادة لا تتم الا بتمام التحقيق. فالزمان اصل الشقاء، ولا سبيل كما رأينا إلى القضاء على هذا التحقق ما دام مصدره الزمان))(٦٧)وهذا الضرب من المجاز الحكمي الذي نلمسه في ثنايا شعر دعبل يعدُّ((على حدته كنز من كنوز البلاغة ومادة الشاعر المفلق والكاتب البليغ في الإبداع والإحسان، والاتساع في طرق البيان))(٦٨).

وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلُّ على فطنة الجرجاني إلى إنّ شعرية الحكمة في المقطوعة الآنفة الذكر تدور على حقيقة سرمدية للشيب تشترك فيها البشرية جمعاء ،وما عمله دعبل الخزاعي هنا خلا تذكير الناس بالمشيب في صيغة تعبيرية سهلة مع الإبقاء على سمة الإطلاق والتعميم ،ومعلوم لدينا إنّ اللغة العربية إنما سمّيت بلغة المجاز لا لكثرة التعبيرات المجازية التي ترِدُ فيها وحسب، بل((لأنّها تجاوزت بتعبيرات المجاز حدود الصور المحسوسة إلى حدود المعاني المجردة ،فيستمع العربي إلى التشبيه فلا يشغل ذهنه بأشكاله المحسوسة إلاّ ريثما ينتقل منها إلى المقصود من معناه))(٦٩)، فهناك عالمين يتأرجح بينهما الشاعر ونتاجه هما(العالم-هنا)و(العالم-هناك)، وما بين((العالم العياني والعالم البديل، تتراوح الحقيقة، حقيقة الشعر وحقيقة الشاعر. الشعر حقيقيي اكثر من أي شيء،وحقيقته هذه لا تبين إلّا في((عالم-هناك)).الشاعر يقود مسيرتنا إلى ذلك الآخر، وما بين الحلم هذا وتحقق المصير، تكون تلك المسيرة التي يقودها الشعراء))(٧٠)عموماً.

وما يجدر ذكره في هذا المقام انّ هذه المقطوعة والبيت الثاني منها حصراً كان سبب تلك النقلة النوعية في حياة دعبل الخزاعي كشاعر وبلوغ شهرته الشعرية انحاء المعمورة، فما إن وصل قوله:((لا تعجَبي يا سلمُ من رجلٍ * ...))أسماع الخليفة هارون الرشيد من أحد المغنين وهو يترنم بها في حضرة الخليفة حتى أمر الأخير بإحضاره وأجازه على قوله، فكان –الرشيد-أول من حرّضه على قول الشعر حتى نبغ وملأت سمعته الأصقاع(٧١)، ومن بعد هذه الحادثة صار دعبل يقول:((أنا ابن قولي:

لا تعجَبي يا سلمُ من رجلٍ ضحكَ المشيبُ برأسِهِ فبكى

...قال الحمدوني: معنى قولنا: أنا ابن قولي ،أي انّي به عُرِفتُ))(٧٢).

ج-الصورة :

لعل ما يميّز الصورة الشعرية في حكم دعبل الخزاعي، الحيوية التي تتمتع بها من حيث تكوينها العضوي؛ إذ أنها ليست مجرد عملية حشد لعناصر جامدة، بل انّها أضحت أداة تعبيرية لا يلتفت المتلقي إلى معناها المجرد أو يقف عنده؛ لان وراء هذا المعنى معنىً آخر هو(معنى المعنى)، أي أن الشاعر صار((يعبر بالصور الكاملة عن المعنى كما كان يعبر باللفظة. وكما كانت اللفظة أداة تعبيرية فقد أصبحت الصورة ذاتها هي هذه الأداة. وكذلك ارتبطت الصورة دائماً بموقف من الحياة ودلت على خبرة الشاعر ونظراته الدقيقة إلى دقائق الأمور. وبذلك أصبحت الصورة تنقل مشهداً حياً، كما تلخص خبرة وتجربة إنسانية))(٧٣).

وحين ننعم النظر في معنى الصورة نجدها تمثل قاسماً مشتركاً بين العقل والعاطفة وهما المنبع الأساس لكل من الحكمة والشعرية؛ إذ أنّ الصورة في حقيقتها تعني((إعادة إنتاج عقلية، ذكرى، لتجربة عاطفية أو إدراكية غابرة، ليست بالضرورة بصرية))(٧٤)، أو بعبارة أخرى هي صيغة جزئية صاغها العقل ليختزل في ذاكرته((تَمثُّل الذات لشذرة من شذرات الموضوع، ومنسوجة صغيرة يودعها انفعال الداخل أمام الخارج ،مما يخوّل لنا حقّ تصوّرها كخزان صغير يحتقب كلاً من التصورات الذهنية والتفاعلات النفسية المتخارجة، أي رؤية الداخل للخارج، من جهة ،واستجابته لهذا الخارج من جهة أخرى))(٧٥) .

نستبين من ذلك إن انفتاح شعرية الحكمة عند دعبل –انطلاقاً من معانيها العقلية المرتبطة بالحقائق المشتركة-على التجربة العامة التي لا تتقيّد بتجربة الخزاعي الذاتية ولا تختصّ بالسياق الخاص الذي نشأت فيه، وإنّما تنزع إلى ملابسة جميع الأحوال المماثلة لمضمونها هي من أهم سمات تلك الشعرية ؛إذ ربّما قد يكون-على سبيل المثال-((هدف قصيدة عن أشعة الشمس والسحاب ليس أن تنبئنا بحالة الطقس. لكن أن توضّح لنا بعض عواطف الشاعر وأن تثير فينا عواطف مماثلة))(٧٦)وهذا ما يسّر لحِكَم دعبل الخزاعي الالتحام بتجارب الآخرين في ظروف تاريخية مغايرة ، ممّا جعلها تكتسب صفة الصورة النموذجية التي تنماز بطابعها اللازمكاني، على الرغم من أهمية الزمان والمكان في الشعرية، فكل شعرية ليست سوى اكتناه لعلاقات تتموضع في المكان أو الزمان أو في كليهما، وفي عصور معينة تؤرخ الشعرية ذاتها بولهها بأحدهما أو بكليهما معاً(٧٧)، وهنا ندرك إنّ الحكمة((في بنيتها المجازية، أي في بنيتها الشعرية، تكون لغة تشويق للبحث ،لمعرفة المجهول، ولتحصيل الكمال. وهي إذن أوسع من أن تنحصر في حدود الواقع المعطى: إن فيها بُعدَ اللانهاية، في مجال التعبير، الذي يستجيب لبعد اللانهاية في مجال المعرفة))(٧٨).

وعليه فإذا كانت درجة الإحساس هي التي تحدد صلاحية الكلام ليصبح حكمة تتداولها الألسن في مرحلة تاريخية معينة ربما تمتد لأجيال بحسبما تحفظها ذاكرة تلك الأجيال، فإنّ الحكمة هي وسيلة ناجحة للنهوض بنوع الانطباعات الشخصية في سلوكيات الحياة ذلك انّ في الحكمة منهاج يأمر بالعروج إليه نظراً لما تجليه من تنوير للهداية نحو الفكرة الأفضل الصافية في مخاطبتها والمجردة في إسداء نصيحتها، ومثل((هذه الصورة تكشف عن الأبعاد الأساسية في العالم الخارجي، فتنقل بذلك ما كان مكتوباً أو مجهولاً أو مهملاً. والنص إذ يقدّم هذه الحقائق الموجودة، يُبدع بطريقة تقديمها، تساؤلات تشير إلى حقائق أخرى، وهكذا يوسع مجال المعرفة ،ونطاق الخبرة))(٧٩).

من هنا يتّضح جلياً إنّ لهذه الصورة علاقة بالسلوك الإنساني العام وبحتمية الموت والفناء، والتحذير من الاغترار بالدنيا والناس ،فقد جاءت مفتوحة على عامة الناس دون تحديد شخصية المخاطب، ولهذا نجد في شعرية الحكمة انتشاراً لضمائر الحياد التي لا تخصّ متكلّماً بعينه، ولا تعيّن

متلقياً بذاته ،ولكنها تنفتح على المتلقي النموذجي المنسلخ عن قيد الجنس والزمن، مستقلاً بذاته عنهما، فيبقى سابحاً في مقام مجرد، ومنفتحاً على التجربة العامة، وانتشار هذا اللون من الضمائر في شعر الحكمة قضية طبيعية كالذي نجده ماثلاً في شعر دعبل الخزاعي، حتى عُدَّتْ تلك الضمائر خصيصة أسلوبية انمازت بها شعرية الحكمة لدى شاعرنا، ومن الشواهد الحكمية التي تدعم ما نوّهنا إليه من ذكر، قوله في المغْتر بالدنيا:

فلا تَكُ كالراكب السَّبع كي يُهابَ ،وَأنتَ لهُ أهيبُ
ستَنشَبُ نفسَكَ أنشُوطةٌ وَاعزِزْ عليَّ بِمَا تَنشبُ(٨٠)

وقوله في الجبن:

أسُودٌ إذا ما كانَ يومَ (كريهَةٍ) ولكنهُم يومُ اللقاءِ ثعالِبُ(٨١)

وقوله في العقل واللسان:

وما المرءُ إلاَّ الأصغران: لِسانُهُ ومعقولُهُ ،والجسمُ خلقٌ مُصوَّرُ
وإنْ طُرَّةٌ راقتْكَ فانظرْ فربَّما أمرَّ مذاقُ العودِ والعودُ أخضرُ(٨٢)

وقوله في الأعداء والرياء:

عدوٌّ راحَ في ثوبِ الصديقِ شريكٌ في الصبوح وفي الغُبوق
لهُ وجهان: ظاهرُهُ ابنُ عمٍّ وباطنُهُ ابنُ زانيةٍ عتيق
يَسرُّكَ مُقبلاً ويَسُوءُ غيباً كذاكَ يكونُ أبناءُ الطريق(٨٣)

وقوله في سياسة الأشرار:

اسقِهِمُ السُّمَّ إن ظَفِرْتَ بهمْ وامزج لهم من لسانِكَ العَسَلا(٨٤)

وقوله في الأحمق:

عداوةُ العاقلِ خيرٌ إذا حُصِّلتَها من خُلّةِ الأحمق
إذا العقلُ إذا لم يُزَعْ عن حلمِهِ ،استحيا فلم يخرق
ولن ترى الأحمقَ يُبقي على دِينٍ ،ولا ودٍّ ،ولا يتقي(٨٥)

نستشف من الشواهد أعلاه إنّ الضمير فيها لم يحدد شخصية بعينها ،بل هو ضمير حيادي جمعي تعددي يحكي بالنيابة عن عدة وجوه لسانية ،الأمر الذي يجعل من شعرية الحكمة عند دعبل الخزاعي كلاماً لا يختص بمعلوم أو ينحصر بمتلقٍ محدد ،بل على العكس من ذلك فهو موجّه إلى كافة المتلقين من حيث كونهم أفراداً تسري عليهم القوانين الوجودية وأحكامها ، وعليه فمجال ذلك الكلام الحكمي هو المشترك بين الناس لا المنفرد به البعض منهم ؛إذ أنّ دعبل يصدر عن تجربة متخيلة تشير إلى مرجعية متصوّرة لدى القارئ في حياته الخاصة والعامة تنماز بقدر واضح من التماسك والشفافية ،فيستخدم أدوات التصوير والترميز لتقريب هذه التجربة وتعميق الوعي المتواصل بها، فالحكمة في ثنايا شعر دعبل الخزاعي-إن صحّ الوصف-أشبه ما تكون بجُرمٍ يدور في فضاء واسع، تتساقط منه أجزاء..وتلتحم به أجزاء..هي أشبه باليتيم مجهول الأب، أو بالكاد يعرف له أباً(٨٦).

المحور الثاني : وظيفة الحكمة

لبيان فاعلية العلاقة الرابطة المتبادلة بين الحكمة والمتلقي-لاسيما المتلقي النموذجي- تدفعنا للخوض في أهم وظيفتين كان لشعرية الحكمة عند دعبل الخزاعي أثر مهم وإسهام منقطع النظير في تفعيل تلك العلاقة، التي أشار إليها كمال أبو ديب في فقرة موجزة بعنوان[الشعرية والمتلقي]بيّن من خلال هذه العلاقة الفضاء الذي تتشكّل فيه بنية من العلاقات المتشابكة بين النص والمتلقي بوصفها بُعداً آخر لبنية[الفجوة:مسافة التوتر]التي تعدُّ الشعرية وظيفة من وظائف هذه الفجوة-متعددة الوظائف-، وقد حدّد أبو ديب مفهوم هذه البنية مبدئياً، بأنّها((الفضاء الذي ينشأ من إقحام مكونات للوجود، أو للغة أو لأي عناصر تنتمي إلى ما يسميه ياكوبسن"نظام الترميز"(Code)في سياق تقوم فيه بينها علاقات ذات بعدين

متميزين،...،[فهي]لا متجانسة لكنها في السياق الذي تقدم فيه تطرح في صيغة المتجانس))(٨٧)، وفي السياق نفسه أشار أبو ديب في إحالتين أساسيتين إلى ريفاتير، الذي ربط بينه وبين الجرجاني من حيث قولهما بالمعنى والدلالة، أو المعنى ومعنى المعنى-التي أشرنا إليها سلفاً-، ورأي أبو ديب في كل ذلك انّ هذا لا يكفي لنعت الشعرية بقدر ما يمثّل مكوّناً من مكوّناتها(٨٨)، والوظيفتان هما:

أ-الوظيفة التربوية التقويمية.

ب- الوظيفة المعرفية النفسية.

فمن خلال هاتين الوظيفتين يتمّ التحام الشكل الإيحائي بالمعنى العاطفي لشعر الحكمة –وإن كان ضئيلاً-فـ(فاليري)يرى إنّ((هناك مظهران للتعبير اللغوي: نقل حقيقة. وتوكيد عاطفة. والشعر حلّ وسط أو نسبة معينة بين هاتين الوظيفتين))(٨٩)، فالوظيفة في الشعر تعدّ عاملاً مهماً وفعّالاً من عوامل رقي هذا الشاعر أو ذاك، ومحدداً أولياً من محددات الجودة الشعرية لديه.

ويرى ياكوبسن انّ الشاعرية((تتجلى في كون الكلمة تُدرك بوصفها كلمة وليست مجرد بديل عن الشيء المسمى ولا كانبثاق للانفعال. وتتجلى في كون الكلمات وتركيبها ودلالتها وشكلها الخارجي والداخلي ليست مجرد إمارات مختلفة عن الواقع، بل لها وزنها الخاص وقيمتها الخاصة))(٩٠)، وتجلي الشاعرية بهذا التحديد لا يعني التعارض بين الوظيفة التربوية والوظيفة المعرفية وصيرورة العلاقة بينهما آلية، ومن هنا يمكننا أن نصل إلى الطريقة التي تنظم بها الوظيفة الشعرية الأثر الشعري-والحكمة جزء منه- وتحكمه دون أن تكون بالضرورة بارزة أو تسترعي انتباهنا، فالأثر الشعري لا يهيمن ضمن مجموع القيم الاجتماعية، ولا تكون له الحظوة على باقي القيم، ولكنه لا يكون أقل من المنظم الأساسي للأيديولوجية الموجّه دوماً نحو غايته، فـ((الشعر هو الذي يحمينا ضد الأتمتة والصدأ الذي يهدد تصوّرنا للحب والكراهية والتمرّد والتصالح والإيمان والجحود))(٩١)، ويرى ياكوبسن انّ عدم الالتفات إلى هذا التأثير الإيجابي للشعر في نفوسنا والانتقاص من قدر الشعر في الوقت نفسه تسميه الإثنوغرافيا الحديثة-ذلك الفرع من علم الإنسان الذي يختصّ بالوصف العلمي للمجتمعات الإنسانية المختلفة-((بالقيمة الثقافية المتفسخة))(٩٢)، وفيما يأتي إيجاز للوظيفتين اللتين تؤديهما شعرية الحكمة عند دعبل الخزاعي.

أ-الوظيفة التربوية التقويمية :

هذه الوظيفة ليست بحديثة العهد في الشعر العربي ،بل تعدّ دعامة قوية كان يرتكز عليها العربي في جاهليته ،لمّا كان الشعر ذا جذور راسخة في حياته الاجتماعية، وغائصاً في أعماق سلوكه العام، وبالمقابل كانت الحكمة تنتشر بين طياته وتلوّن العِبرة والعظة معظم موضوعاته وأغراضه، وبعيداً عن المغالاة فلعلّ الدليل التاريخي في تعويل العرب على الشعر بوصفه مدرسة أو منهجاً دراسياً، ما كتبه الخليفة عمر بن الخطاب(ﷺ)لأبي موسى الأشعري:((مُرْ من قِبَلك بتعلّم الشعر؛ فإنّه يدل على معالي الأخلاق، وصواب الرأي، ومعرفة الأنساب))(٩٣)، وكذلك ما رواه الزبير بن بكار عن العمري في قوله: ((روّوا أولادكم الشعر؛ فإنّه يحلّ عقدة اللسان، ويشجع قلب الجبان، ويطلق يد البخيل، ويحضّ على الخلق الجميل))(٩٤)، وكان حبر الأمة ابن عباس(ﷺ)يدعو ويحرّض على ارتشاف الشعر لمعرفة ما أشكل تفسير معناه في القرآن ؛إذ يقول: ((إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب؛ فإنّ الشعر ديوان العرب. وكان إذا سُئلَ عن شيءٍ من القرآن أنشد فيه شعراً))(٩٥).

ومن هنا نفهم ما مدى العبء الملقى على كاهل الشعر أولاً وأخيراً حتى شمل معنى التربية والتهذيب، فكان حفظ الشعر ومن ثم دراسته في مراحل زمنية لاحقة ضرباً من تربية الأبناء وتأديبهم(٩٦)، ووفق هذا السياق التربوي الأخلاقي تندرج شعرية الحكمة عند دعبل الخزاعي؛ إذ أنها مرتكزة على أساس خلقي تربوي يتجلى في حثّها وتحريضها على قيمٍ ومبادئ إيجابية من شأنها أن تعيد الهوية للإنسان النموذجي والمثالي الذي لم يعد له وجود في زمن دعبل، ونجد على الطرف الآخر من تلك الحِكَم دعوة صريحة إلى رفض قيمٍ ومبادئ سلبية لعلها كانت السبب في ما آل إليه المجتمع العربي

في واقعه من تدهور وانحطاط وتخلف أيام شاعرنا، ومن هنا ازداد احتياج المتلقي لسماع الشعر عموماً والحكمة المبثوثة في ثناياه خصوصاً-وقد لا نغالي إذا قلنا- كحاجته إلى الطعام والشراب والنوم والكساء ،فيصير الشعر إكسيراً ليومه، وتصير الحكمة جزءاً من الشاعر والمتلقي، ومفردة حية من مفردات سلوكهما معاً(٩٧)، ولربَّ سائلٍ يسأل انّ ما قدمنا له فيما مضى من القول يومي إلى العقل ودواعيه اكثر من إيمائه للجانب العاطفي الرومانتيكي، إلا أن الإجابة عن هذا التساؤل ستأتي في حينها من الوظيفة المعرفية النفسية، وهي مرتبطة أيما ارتباط بمادة[الشعر]نفسه؛ إذ أن ظاهر الشعر يدل على الشعور والعاطفة، في حين انّ معناها العميق يدل على العلم والإدراك العقلي(٩٨).

عوداً على بدء،فمن تلك القيم أو الفضائل الإيجابية التي كان لها صدىً واضح في حِكَم دعبل الخزاعي، الكرم، الذي من شأنه ستر العيوب؛ إذ أن((المال وسيلة تدفع الإنسان إلى التشبث الممقوت بأهداب الملاذ الزائفة))(٩٩)؛ لذلك دعا دعبل إليه–أي الكرم-وأكثر من ذكره في حكمه:

أُحِبُّ العاذلاتِ لأنّ جودي يزيدُ على ازدیادِ العاذلاتِ
تُعيِّرُني بأنْ أفسدْتُ مالي فسادُ المالِ إحدى الصالِحاتِ(١٠٠)

وقوله أيضاً:

وإنّي لأرثي الكريمَ إذا غدا على مطمَعٍ عندَ اللئيمِ يطالِبُهْ
وأرثي لهُ من موقفِ السُّوءِ عندهُ كما قد رَثوا للطرفِ والعِلجُ راكِبُهْ(١٠١)

وبالمقابل نجد البخل تلك السمة أو الفضيلة السلبية تتردد في حِكَم دعبل سائرةً باتجاه معاكس مع الكرم ولعل السبب في ذلك يعود إلى رؤية الخزاعي إنّ ((أغنياء عصره وأثرياء زمانه قد غُلَّت أيدي أكثرهم ولبسوا جلود البخل))(١٠٢)، فَجرَّتِ الواقع العربي إلى نتيجة لا تُحمدُ عقباها من الانحلال والفناء في الرذائل، فيستمر دعبل في رسم الصورة الحكمية المتفردة المادة التي شكّل منها صورة المجتمع العباسي في رحلة البحث عن المجتمع المثالي، وهي في اغلبها مبالغة تضفي تفرداً ليس لعصر دعبل فحسب، وانّما لدعبل نفسه حين تقترن به الكثير من صور البلاغة نحو قوله هاجياً أبا عمران على بخله بمنظور حكمي غاية في السلاسة واللطف:

رأيتُ أبا عمرانَ يبذلُ عرضَهُ وخُبزُ أبي عمرانَ في أحرز الحرزِ
يحِنُّ إلى جاراتِهِ بعد شبعِهِ وجاراتُهُ غرثى تَحِنُّ إلى الخبزِ(١٠٣)

وقوله أيضاً شاكياً ممّن ضنَّ عليه:

خليليَّ ماذا أرتجي من غدِ امرئٍ طوى الكشحَ عني اليومَ وهو مكينُ
وإن امرءاً قد ضنَّ منهُ بمنطقٍ يَسُدُّ بهِ فقرَ امرئٍ لضنينُ(١٠٤)

وعلى غرار ذلك نلمح انّ دعبل الخزاعي سواء أكان على دراية واقتناع بحكمه المضمنة في شعره، أم انّها طبيعة العمل الفني، فهي لربّما لا تمتّ للواقع بصلة، كما أنها ليست الحقيقة، وان ارتبطت حكمه بالمشاعر والأفكار وارتضتها الحواس؛ ذلك لأنّ((واقعية الأشياء هي من اختصاصها أما مظهر الأشياء فهو من اختصاص الإنسان))(١٠٥)، وهذه وان بدت مثالية؛ إذ ترى الحواس هي المحددة لصورة الأشياء، ولكن يبدو أنها تلائم تماماً الإبداع الفني، وقد التفت لهذه المسألة أخوان الصفا حينما قالوا:((إن المهارة في أي عمل ما هو إلا تشبيه بالخالق الحكيم))(١٠٦)، وهي فكرة فيها الكثير من الأفلاطونية التي تعمد إلى الصورة والظل، فهناك المثال-الصورة الأصل-، وهناك دون المثال-وهو الضلال التي تحاول أن تشبه المثال-، ويبدو أن دعبل((لم يرد من وراء ذلك سوى أن تعبّر عن نهم الإرادة البشرية التي تريد دائماً أن تمضي إلى ما هو ابعد لكي تخاطر وتجرب وتكتشف وتعلو على نفسها))(١٠٧).

ولعلّ هذه الظاهرة فضلاً عن كونها ملازمة لطبيعة العمل الفني الذي يرغب عن التطابق مع الواقع كما هو(١٠٨)، فأنها مدفوعة كذلك بالمبدع الذي يضيق بأسر الزمان والمكان لتأكيد ذاته الشاعرة

بوصفها مستقلة عن الصيرورة(١٠٩)، فيعمد إلى تشكيل الواقع كما يراه هو، وليس كما هو كائن؛ إذ يحمل بين جوانحه كما يقول شلي((شهوة إصلاح العالم))(١١٠).

ب-الوظيفة المعرفية النفسية :

هذه الوظيفة كسابقتها فهي متغلغلة في أوصال الشعر العربي، ولعلّ أول ما يلفت النظر نحوه في هذه الوظيفة هو الربط بين الإدراك الحسي الكامن في مادة[شعر]والإدراك العقلي الذي تنطق به مادة[علم]، فمن صميم هذه العلاقة نبع الشعر فن العربية الأوحد، فحين استقراء مادة(شعر)في المعجم العربي نجد مدوّن تحتها((والشعر:منظوم القول، غلب عليه[أي على منظوم القول]لشرفه بالوزن والقافية، وإن كان كل علم شعراً، من حيث غلب الفقه على علم الشرع، والعَودُ على المَنْدَل، والنجمُ على الثريا))(١١١)، من هنا نفهم انّ كل علوم العرب هي[شعر]إلا أن مسمى [الشعر] غلب على منظوم القول لشرفه بالوزن والقافية-وقد كان للنقاد العرب فيه نظر بيّناه في حينه(١١٢)-وعليه يمكننا القول إنّ وعي العرب القدامى بكينونة الشعر علماً من جهة، وشعرية العلم من جهة أخرى نابع أساساً من إدراكهم للتداخل الكلي لهذين البعدين[شعر=علم]، بصياغة أخرى نقول انّه نابع من العلم البشري والإلهام غير البشري في اصل الشعر عند العرب، وهذا ما يوحي بسمو نظرتهم للشعر وعدّه أساس الحضارة العربية وليس مجرد جزء منها.

ولعلّ وعي العرب بوشيج العلاقة بين الشعر والمعرفة(العلم)تتضح في تعبيراتهم الواضحة عن الشعر وعلمه وعلمائه، نحو قول ابن سلام الجمحي في طبقاته:((ذكرنا العرب وأشعارها،...،فاقتصرنا من ذلك على ما لا يجهله عالم، ولا يستغني عن علمه ناظر في أمر العرب، فبدأنا بالشعر))(١١٣)، وأشار ثانية بقوله:((وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم، كسائر أصناف العلم والصناعات))(١١٤)، وهذا ابن رشيق القيرواني يشيد بفضيلة الشعر المعرفية(العلمية)النفسية في قوله:((إنّ اليونانيين إنما كانت أشعارهم تقييد العلوم والأشياء النفسية والطبيعية التي يخشى ذهابها، فكيف ظنّك بالعرب الذي هو فخرها العظيم، وقسطاسها المستقيم؟))(١١٥)، وقال آخر –أبو العباس الناشئ-:((العلم عند الفلاسفة ثلاث طبقات:أعلى، وهو علم ما غاب عن الحواس فأدرك بالعقل أو القياس، وأوسط، وهو علم الآداب النفسية التي أظهرها العقل من الأشياء الطبيعية كالأعداد والمساحات وصناعة التنجيم وصناعة اللحون، وأسفل، وهو العلم بالأشياء الجزئية والأشخاص الجسمية، فوجب –إذا كانت العلوم أفضلها ما لم تشارك فيه الجسوم- أن يكون أفضل الصناعات ما لم تشارك فيه الآلات، وإذا كانت اللحون عند الفلاسفة أعظم أركان العمل الذي هو أحد قسمي الفلسفة وجدنا الشعر أقدم من لحنه لا محالة، فكان أعظم من الذي هو أعظم أركان الفلسفة، والفلسفة عندهم علم وعمل))(١١٦).

وشعرية الحكمة لدى دعبل الخزاعي تنسحب ضمن ذلك النطاق أو السياق العلمي المعرفي؛ إذ أن هذه الوظيفة نابعة من السمات التركيبية لبنية الحكمة المتجسدة في كونها بنية نصية قائمة بذاتها ومستقلة عن سواها من مرجعيات أو سياقات خاصة، فهي تحمل في جوهرها السياق والمرجع، وإذا كانت الحكمة ترد في مظهر العِبرة وأخذ الدرس بعد إبرازها في صورة تجربة فردية في الحياة، فانّها سرعان ما تنزع من سياقها الخاص وتتحوّل إلى تجربة عامة بعيداً عن أي تجربة ذاتية منفردة، وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل على قابليتها للانخراط في أي سياق آخر بعد إعادة صياغتها في جمل أو سياقات مستقلة برؤوسها متضمنة العِبرة والاعتبار بالاستناد إلى تجربة الغير أو تجارب السابقين.

وبالارتكاز على هذا التنظير تصبح تلك الحِكم مؤهلة للإجابة على عدد لا يحصى أو غير منتهٍ من الأسئلة والاستفسارات التي علقت في أذهان قرّائها أو متلقيها محاولين طرحها على أنفسهم، ووفقاً لهكذا معيار ستتسم أبيات الحكمة بسمة التجدد من حيث قابليتها لأن تُقرأ مرات ومرات، وفي كلّ قراءة جديدة لها ستُعطي معانٍ وأجوبة نموذجية للكثير من الأسئلة والطروحات التي كانت تراود خلد القارئ.

ولعل السبب الذي يقف وراء الأمر راجع إلى كون كلّ متلقٍ يتفاعل مع هذه الحكمة أو تلك على قدر عثوره على ذاته فيها ،ليس هذا فحسب؛ بل إنّ الحكمة عند دعبل الخزاعي تتمتع بوظيفة نفسية تتضح في إمكانيتها على التسلية والتهوين من حدة المصائب التي تقع على عاتق النفس البشرية، ويكمن السر في تلك القضية إنّ بعض حِكَم دعبل قد جاءت للتخفيف من هول المصيبة وامتصاص حالة الضياع التي يمرُّ بها أي إنسان؛ ولذا فقد وجد فيها كلّ متلقٍ ما يبحث عنه من مآرب تفرّج همّه وتهوّن كربه وتعبّر عن تجربته الشخصية، ولنستمع لقول دعبل الآتي بوصفه أنموذجاً يصوّر الجانب المعرفي النفسي في حِكَمه:

الجهلُ بعدَ الأربعينَ قبيحُ فزَعِ الفؤادَ وإن ثناهُ جموحُ
وبع السفاهةَ بالوقارِ وبالنهى ثمنٌ لعمرُكَ ــعما فعلتَ- ربيحُ
فلقد حدا بكَ حاديانِ إلى البلى ودعاكَ داعٍ للرحيلِ فصيحُ(١١٧)

فالتأمل يعدّ طبيعة فكرية نفسية متعددة الجوانب في أمور الإنسان المتشعبة، وربّما ألحّ المسائل التي تقلق ضمير هذا الكائن هو حقيقة الموت التي تقف حائلاً بينه وبين طموحه في البقاء والخلود(١١٨)، ومفردة(البلى)في البيت الأخير تمثل معادلاً موضوعياً حقيقياً لليأس، ولمّا كان الموت يستهدف الروح؛ فإنّ فريسة البلى الجسد،ولمّا كان النأي بين الخليلين مؤقتاً، فإنّ نأي الأرض غير مؤقت بسبب البلى الذي يلحق الخلّ الساكن تحتها(١١٩).

وفي موضع آخر نجد دعبل يطمئن نفسه بقرب الأجل ويحثّها على عدم الجزع من ريب الزمان وجوره ،وهذا ما أورده في تائيته الخالدة ؛إذ يقول:

فيا نفسُ طيبي ،ثمّ يا نفسُ ابشري فغيرُ بعيدٍ كلُّ ما هو آتِ
ولا تجزعي من مدّةِ الجورِ، إنّني أرى قوّتي قد آذنتْ بشتاتِ(١٢٠)

من هنا يمكننا القول بأنّ دعبل الخزاعي يضع((معتقدات عصره وأفكاره موضع تساؤل يلبس فيه الفكر ثوب الشعر، والشعر طاقة الفكر. يضعها، بتعبير آخر، في إطار مشحون بالحساسية الشعرية، والمؤثرات النفسية المتعددة، المتنوعة))(١٢١)، من هنا جاز لنا القول بانّ حكمة دعبل الخزاعي كانت لا تتحرك إلاّ بالحياة وقسوتها؛ لذا ظلّ يطلبها فهي تنحت نصّاً((ينطق عن خواطر الناس))(١٢٢)؛ لأنّه لم يظلّ متقلباً بالنعيم، وبإرادته التي تتحرك ليس بهذه الرغبة وحدها، وانّما بقيمة إنّ الإنسان موقف؛ لذا كان تمرده دائماً عن وعي فعنده((ليس التمرد هو تمرد الكبرياء، بل تمرد الوعي الإنساني بأشد ما في الإنسانية من صدق))(١٢٣).

الخاتمة :

توصّل البحث إلى جملة من النتائج نجملها بالآتي:

- اعتمد دعبل الخزاعي في حِكَمِهِ سهولة الطرح والأداء الموصّل، ونقل تجربته ومشاعره الشخصية اتجاه الزمان والمكان بعيداً عن التهويل، فجاءت حكمه في لغتها واضحة تحمل السلاسة والترابط المنطقي للحدث ويبدو إن الذي ساعد على بروز تلك السمات الشعرية في حِكَم دعبل، إنّ أكثرها كان مقطوعات شعرية قصيرة، زد على ذلك، إنّ حالة التفريغ النفسي للحدث الحكمي حمل في طياته الأداء المركّز الذي حمل الفكر والشعور معاً دون افتعال أو إطالة مبتذلة ،فهو مناجاة مع الدهر والمجتمع وحوار داخلي مع النفس متميز.
- استطاع دعبل الخزاعي بحنكته الرائعة أن يوجز التجربة الشعورية، والفكرية، والعقائدية والخبرة الحياتية في أبيات قصيرة في مبناها غزيرة في معناها مع إصابة الأخير ــأي المعنى- وبالمقابل استطاعت شعرية الحكمة عند شاعرنا ممثلة بالأداء الفني لقائلها أن تحمل معاناته، وأن ينقلها دون تزوير مع الحفاظ على واقعية الحقائق دون انحدار أو هبوط في مستواها أو أسلوبها.

- استطاعت حِكَم دعبل الخزاعي أن تحلق في فضاءٍ رحب من مختلف البيئات الثقافية، وأن تطلق العنان لمتلقيها لأن يتأقلم معها ويتعدى حدودها الزمكانية إلى ما هو أوسع وأرحب، وهنا يكمن سرّ القيمة الشعرية والجمالية التي تميّز الحكمة التي لأجلها عدّ شوقي أمير الشعراء، الشعر عاطلاً حتى تسكنه الحكمة، والحكمة ما تزال شاردة حتى يؤويها بيت الشعر وعلى غرار هذا الشرود فحِكَم دعبل الخزاعي اكتسبت صفة الخلود والاستمرارية والتفاعل مع المتلقي لأطول مدة من الزمن حتى بعد تلاشي السياقات التاريخية التي نشأت فيها بمجرد العثور عليها في بيت القصيد.

الهوامش :

١- ينظر: مجهول البيان/١٠٥-١٠٦.
٢- الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه/٤٠٣.
٣- تكوين البلاغة/٢١٥.
٤- قضايا الشعرية/.٧٨
٥- الشعرية/.٢٣
٦- قضايا الشعرية/.٣٢
٧- نقد الشعر/ ٦٤
٨- ينظر: الشعر ومتغيرات المرحلة/ ٢٠.
٩- مقدمة العلامة ابن خلدون/ ٣٥٥.
١٠- المثل السائر: ٣٥٤/٢.
١١- القمر/ .٥
١٢- الفن والأدب/ .١١٥
١٣- ينظر: تكوين البلاغة/ .١٣
١٤- نقد الشعر في المنظور النفسي/ ٤٩.
١٥- قضايا الشعرية/ .٧٩
١٦- المتنبي شاعر ألفاظه تتوهج فرساناً/ ١٦٢.
١٧- محاضرات في طبيعة الفن ومسؤولية الفنان: .١٠
١٨- دلائل الإعجاز/ .٢٠٣
١٩- الشعرية العربية/ .٥٠
٢٠- محاضرات في طبيعة الفن ومسؤولية الفنان/.٩
٢١- الأدب والدلالة/ .٦٤
٢٢- ينظر: الشعر ومتغيرات المرحلة/ ١٩.
٢٣- ينظر: المصدر نفسه/ ١٩.
٢٤- تاريخ الأدب العربي: ٢٨٦/٢.
٢٥- الأغاني: ١٤٩/٢٠-١٥٠.
٢٦- المصدر نفسه: ١٣٥/٢٠.
٢٧- ينظر: الشعر وطوابعه الشعبية على مرّ العصور/ ٦٧، .٦٩
٢٨- ينظر: الشعر والشعراء في العصر العباسي/ ٣٢٧-.٣٢٩
٢٩- ابن سناء الملك حياته وشعره/ ١١٤.
٣٠- الأدب في موكب الحضارة الإسلامية/ ٣٦.
٣١- ينظر: المتنبي شاعر ألفاظه تتوهج فرساناً/ ١٦٢.
٣٢- استقبال النص عند العرب/ ٣٠-٣١.
٣٣- الديوان/ ١١١.
٣٤- المصدر نفسه/ ٦٢.
٣٥- الأغاني: ٢٠/.٧٤
٣٦- المصدر نفسه: ٢٠/.٧٤
٣٧- المتنبي بين البطولة والاغتراب/ .٤٢
٣٨- الأدب وفنونه/ .١٠٢

٣٩- ينظر: محاضرات في طبيعة الفن ومسؤولية الفنان/ .٣٥
٤٠- اللغة الشاعرة/ ٥٤.
٤١- أسرار البلاغة/ ٢٣٦.
٤٢- المصدر نفسه/ .٢٣٦
٤٣- جماليات المعنى الشعري/ ١٩١.
٤٤- المصدر نفسه/ .١٩١
٤٥- ينظر: جواهر الأدب: ٢٦/٢.
٤٦- ينظر: الفن والأدب/ ١١٦-١١٧،والشعر الجاهلي خصائصه وفنونه/ .٤٠٣
٤٧- واقع الشعرية العربية خلخلة وتنوع في المشهد(بحث)/ .١٩
٤٨- الديوان/ ١٦٢.
٤٩- المصدر نفسه/ ٦٦.
٥٠- المصدر نفسه/ ١٥٧.
٥١- الديوان/ ١٣٢.
٥٢- المصدر نفسه/ ٤٣.
٥٣- المصدر نفسه/ ٦١.
٥٤- المصدر نفسه/ ١٤٥.
٥٥- المصدر نفسه/ .٨٤
٥٦- المصدر نفسه/ .١٣٩
٥٧- المصدر نفسه/ .١٤٤
٥٨- المصدر نفسه/ .٥٣
٥٩- المصدر نفسه/ .٤٦
٦٠- المصدر نفسه/ ٦٣.
٦١- المصدر نفسه/ .٥٩
٦٢- المصدر نفسه/ .٤٥
٦٣- ينظر: جماليات المعنى الشعري/ .١٩٠
٦٤- ينظر: الفن والأدب/ .١١٩
٦٥- الديوان/ .١٠٧
٦٦- أسرار البلاغة/ .٢٥٦
٦٧- الزمان الوجودي/.٢٥٣
٦٨- دلائل الإعجاز/ ٢٢٨-.٢٢٩
٦٩- اللغة الشاعرة/ .٢٦
٧٠- واقع الشعرية العربية الآن خلخلة وتنوع في المشهد/١٩.
٧١- ينظر: الأغاني: ٢٠/.١٩٣
٧٢- المصدر نفسه: ٢٠/.١٣٧
٧٣-الأدب وفنونه دراسة ونقد/ .١١٢
٧٤- نظرية الأدب/.٢٤٠
٧٥- مقالات في الشعر الجاهلي/ .٢٩٨
٧٦- جماليات المعنى الشعري/ .١٩٢
٧٧- ينظر: في الشعرية/.٧٠
٧٨- الشعرية العربية/ .٧٧
٧٩- المصدر نفسه/ .٧٣
٨٠- الديوان/ .٣٧
٨١- المصدر نفسه/ .٣٩
٨٢- المصدر نفسه/ .١٥٠
٨٣- المصدر نفسه/ .١٥٦
٨٤- المصدر نفسه/ .١١٤
٨٥- المصدر نفسه/.١٠٥

٨٦- ينظر: الأدب والغرابة/.٨٦
٨٧- في الشعرية/.٣١
٨٨- ينظر:المصدر نفسه/٨٣-٨٤، وهامش٩١، ١٥٤-١٥٥.
٨٩- جماليات المعنى الشعري/ .١٩٢
٩٠- قضايا الشعرية/.٢٠
٩١- المصدر نفسه/.٢٠
٩٢- المصدر نفسه/.٢١
٩٣- العمدة: ١/.٢٨
٩٤- المصدر نفسه: ١/.٣٠
٩٥- المصدر نفسه: ١/.٣٠
٩٦- ينظر: دراسة فنية في شعر الإمام الشافعي/ .٧٣
٩٧- ينظر: نقد الشعر في المنظور النفسي/ .٤٨
٩٨- ينظر: البحث/٢١
٩٩- دراسة فنية في شعر الإمام الشافعي/ .٦٨
١٠٠- الديوان/ .٦٢
١٠١- المصدر نفسه/ .١٤٤
١٠٢- دراسة فنية في شعر الإمام الشافعي/ .٧٣
١٠٣- الديوان/ .١٣٦
١٠٤- المصدر نفسه/ .٨٩
١٠٥- موجز تاريخ النظريات الجمالية/.٢٠٤
١٠٦- المصدر نفسه/.٥٨
١٠٧- مشكلة الإنسان/.٩٠
١٠٨- ينظر: موجز تاريخ النظريات الجمالية/.٨١٢
١٠٩- ينظر: مشكلة الإنسان/.٩١
١١٠- المجموعة الشعرية الكاملة: ٣/.١٣٥
١١١- لسان العرب مادة(شعر): ٧/.١٣٢
١١٢- ينظر: البحث/٤
١١٣- طبقات فحول الشعراء: ١/.٣
١١٤- المصدر نفسه: ١/.٥
١١٥- العمدة: ١/.٢٦
١١٦- المصدر نفسه: ١/٢٥-.٢٦
١١٧- الديوان: .٦٦
١١٨- ينظر: مقدمة في نظرية الشعر الإسلامي: .١٤٨
١١٩- ينظر: الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام: .١٧٣
١٢٠- الديوان: .٥٨
١٢١- الشعرية العربية: .٦٧
١٢٢- الوافي بالوفيات:٦/.٣٣٦
١٢٣- كامو والتمرد/١٩.

المصادر:

- القرآن الكريم.
- ابن سناء الملك حياته وشعره، تحقيق محمد إبراهيم نصر، مراجعة د.حسين محمد نصار، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر،القاهرة،١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م.
- الأدب والدلالة، ت.تودوروف، ترجمة د.محمد نديم خشفة، مركز الإنماء الحضاري، ط١، حلب،١٩٩٦.
- الأدب والغرابة، عبد الفتاح كليطو، دار الطليعة، ط٢، بيروت، ١٩٨٣.
- الأدب وفنونه دراسة ونقد، د.عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي للطباعة، ط٣، القاهرة، ١٩٦٥.

- استقبال النص عند العرب، د.محمد رضا مبارك، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ١٩٩٦.
- أسرار البلاغة في علم البيان، الإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق السيد محمد رشيد رضا، دار المطبوعات العربي للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت).
- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، شرح الأستاذ عبد علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.
- تاريخ الأدب العربي، د.عمر فروخ، دار العلم للملايين، ط٥، بيروت- لبنان، ١٩٨٥.
- تكوين البلاغة قراءة جديدة ..ومنهج مقترح، علي الفرج، دار المصطفى(ﷺ)لإحياء التراث، مطبعة أمين، ط١، قم- إيران، ١٤٢٠هـ.
- جماليات المعنى الشعري ((التشكيل والتأويل))، د.عبد القادر الرباعي، وزارة الثقافة، اربد- الأردن، ١٩٩٨.
- جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، السيد أحمد الهاشمي، مؤسسة المعارف، بيروت، (د.ت).
- دراسة فنية في شعر الإمام الشافعي (ﷺ)، حكمت صالح، مطبعة الزهراء، الموصل، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٣م.
- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق الشيخ محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت- لبنان، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.
- ديوان دعبل بن علي الخزاعي، تحقيق د.إبراهيم الأميوني، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت- لبنان، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
- الزمان الوجودي، عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،١٩٥٥.
- الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، عبد الإله الصائغ، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، العراق- بغداد،١٩٨٦.
- الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، د.يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٨، بيروت، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
- الشعر والشعراء في العصر العباسي، د.مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، بيروت، (د.ت).
- الشعر وطوابعه الشعبية على مرّ العصور، د.شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٧.
- الشعر ومتغيرات المرحلة (الشعر والتراث)معنى الوعي الشعري بالتراث، د.حمادي صمود ود.علي جواد الطاهر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،١٩٨٦.
- الشعرية، تزفيطان طودوروف، ترجمة شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ١٩٩٠.
- الشعرية العربية، أدونيس، دار الآداب، ط١،بيروت، ١٩٨٥.
- طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، في سفرين، تحقيق محمد محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، السفر الأول ١٩٧٤.
- العمدة في محاسن الشعر، وآدابه، ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الازدي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ط٣، مصر، ١٩٦٣.
- الفن والأدب، د.ميشال عاصي، مؤسسة نوفل، ط٣، بيروت- لبنان، ١٩٨٠.
- في الشعرية، كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ١٩٨٧.
- قضايا الشعرية، رومان ياكوبسن، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ١٩٨٨.
- كامو والتمرد، روبير دولبيه، ترجمة سهيل إدريس، منشورات دار الآداب،ط٢، بيروت، ١٩٦٤.
- لسان العرب، للإمام العلامة ابن منظور(٦٣٠-٧١١)، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر، مؤسسة التاريخ العربي، ط٣، بيروت-لبنان، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
- اللغة الشاعرة مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية، عباس محمود العقاد،منشورات المكتبة العصرية، بيروت- صيدا، (د.ت).
- المتنبي بين البطولة والاغتراب، محمد شرارة، تحقيق حياة شرارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ١٩٨١.
- المتنبي شاعر ألفاظه تتهج فرساناً تأسر الزمان، د.علي شلق، منشورات وزارة الثقافة والفنون، ط١، الجمهورية العراقية، ١٩٧٧.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن الكريم بن الأثير الجزري، تحقيق الشيخ محمد محمد عويضة، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت- لبنان،١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

- محاضرات في طبيعة الفن ومسؤولية الفنان، د.محمد النويهي، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٥٧-١٩٥٨.
- مجهول البيان، د.محمد مفتاح، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ١٩٩٠.
- المجموعة الشعرية الكاملة، ديوان صلاح عبد الصبور، دار العودة، بيروت، ١٩٧٢.
- مشكلة الإنسان، د.زكريا إبراهيم، طبع ونشر مكتبة مصر، ط١، القاهرة، ١٩٧١.
- مقالات في الشعر الجاهلي، يوسف اليوسف، دار الحقائق للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٩٨٣.
- مقدمة العلامة ابن خلدون، تحقيق الأستاذ حجر عاصي، دار ومكتبة الهلال، بيروت،١٩٨٨.
- مقدمة في نظرية الشعر الإسلامي (المنهج والتطبيق)، عباس المناصرة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، دار البشير،ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
- موجز تاريخ النظريات الجمالية، افسيانيكوف وآخرون، ترجمة باسم السقا، دار الفارابي، بيروت، ١٩٧٥.
- نظرية الأدب، رينيه ويليك وآخرون، ترجمة محي الدين صبحي، مراجعة د.حسام الخطيب، مطبعة خالد الطرابيشي، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.
- نقد الشعر، أبو الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق د.محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (د.ت).
- نقد الشعر في المنظور النفسي، د.ريكان إبراهيم، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، ١٩٨٩.
- الوافي بالوفيات، الصلاح الصفدي، تحقيق س.ديدرينغ، المعهد الألماني، مطبعة دار صادر، ١٣٩٢هـ.

الدوريات:-

- واقع الشعرية العربية الآن خلخلة وتنوع في المشهد، حكمت الحاج، مجلة أقلام، العدد ٨-١٠، سنة ١٩٩٦.

Abstract

The capillary in Deabil bin Ali Al- Khuzaay's aphorisms

The search tried stopping on artistic and esthetic affairs for capillary's aphorism has Deabil Al-Khuzaay from during the resting on some givens spouted from an essence this capillary, Outset from the abstractednesses of build's aphorism by a description it the people language by all a layers it and different a spectrums it the intellectivem , and the arrival to role or function importance which play it the aphorism ,doesn't only in poet's life;but in body politic's life; because of the aphorism lived the life experiment with talking it with a depth and original during the long history it. Since it was pieces prosaic until became capillary an art stood per se it, and it has exclusiveness it the artistic and esthetic.

Aphorism's art stayed chorale impel the bestriding and a cantata move the elans, This is the art enrolled hearts flaps and selves hopes.

From here the aphorism doesn't convoy the life only, but it lived her with righteous it and rotten it, the aphorism effervesced by it and it operate for it and from it.

Therefore this is the search came as surrejoining on some speaking with aberrant of artistic value for aphorism poetry , because of poetry misdemeanours to arrant mental side, little the chance from rhapsodical feeling.

Resting my search on personality Deabil Al-Khuzaay such as a basis stood on it this is the studying, might be given another evidence on an extent being the aphorism vivified with perfume of the pellicular humanism emotion, especially which cleave with a picture the hoary-headed and aeon inconstancies and body politic perfidy.